

- ١٠٢ -

« الصورة التي تتمثل لعقلك هي دائماً صورة فكرة من الأفكار ؛ ولكن المرء الذي يفكر بكلمات تجريدية لا يصل أبداً إلى ترجمة فكرته في صورة ؛ إنه على أكثر تقدير يصل إلى تقييد فكرته في تعبير عام مبتدل » (١) .

فلا قيمة عندهم للفكرة في ذاتها ، ولكن لصورتها . وهم يعملون في إثارة الصور على الصفات المعبرة ، وإحكام الأسلوب ورسم الألوان المختلفة لما يصورون ، أي على اللغة وإحكام صياغتها : ولكن في القالب الشعري القديم . فلم يقصدوا إلى تجديد في الأوزان رغبة في الإيجاء كما سيفعل الرمزيون بعد ، ولم يهملوا في اتباع قواعد العروض أو اللغة تعلقاً بالضرورات الشعرية ، كما كان يفعل الرومانتيكيون أحياناً جرياً وراء الإلهام ، وما تجود به القرينة لأول وهلة .

وقد عقد « تيودور دي بانفيل » في كتابه : « رسالة صغيرة في الشعر الفرنسي » فصلاً خاصاً بعنوانه « الرخص في الشعر » ، أو الضرورات التي تباح لغويًا للشاعر ، ولكنه لم يكتب تحت هذا العنوان إلا هذه الجملة « لا وجود لهذه الرخص » . وقد دعا إلى ضرورة المحافظة على القافية في شكلها التقليدي ، مع الإفادة منها قدر المستطاع في الإيجاء والتصوير .

ويعبّر « تيودور دي بانفيل » ، في كتابه السابق الذكر ، عن أهمية القافية لدى البرناسيين ، فيرى أنها هي التي تكسب الشعر صفته الفنية الخاصة به ، وهي التي تثير الأصوات المعبرة ، وتبعث الإنفعالات وتثبتها ، وتعرض أمام عيوننا المناظر الرائعة ، وهي التي ترسم المنظر الخارجي للصورة ، أروع وأثبت من المظهر الفني لتمثال الرخام ، شأن الشاعر في ذلك شأن الرسام « فكما أن الرسام بلمسة محكمة من لمسات ريشته يثير في ذهن الناظر فكرة أوراق شجرة الزان أو شجرة السنديان ، على أنك تستطيع أن تقترب من لوحته وتفحصها عن قرب ، لترى أنه لم يقدم لك في الحقيقة مظهر الأوراق